

مسار فرايجي: من العشق إلى الاحتراف

محمد البوعلاي (فرايجي)

1-النشأة : تلميذ ام مشروع فرايجي؟



من اليمين الى اليسار: البوعلاي، الهرنان، رشيد ، علال، البالي، الهركال والزوبع

كانت الولادة سنة 1975م بدوار عين مواس جماعة الترايبية قيادة باب المروج بنازة. تلقت الدروس الابتدائية بمدرسة الخروبة، المتواجدة بدوار الخروبة بنفس الجماعة، حيث بدأت البوادر الأولى لتعلم فن الفراجة من خلال المشاركة في الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة عيد العرش ، والتي كانت توافق الثالث من مارس من كل سنة.

كانت مدرستنا كباقي المدارس تقيم أنشطة متنوعة احتفالا بهذه المناسبة، كالمسرحيات، والأناشيد، والأغاني وكنت من بين المشاركين في هذه الأنشطة ومن بينها الفراجة التي اجتهدت فيها كل الاجتهاد من أجل البروز والتألق في هذا الفن. فتارة أكتب زرعات (قصائد) قصيرة وأحفظها لألقيها، وتارة أقول زرعات لشيوخ كبار أكون قد سمعتها منهم مباشرة او عبر الأشرطة المسجلة، مثل الشيخ علال ددريس و الشيخ بوجمعة الحداد وغيرهما.

كانت فرقتنا تتكون من مجموعة من تلاميذ المدرسة أمثال محمد الهيسوفي، محمد هروش، الحسني سعيد وغيرهم يتطوعون للمشاركة في هذه الاحتفالات بحضور بعض السكان المجاورين للمدرسة اللذين يأتون مع انطلاق موعد التداريب خلال الفترة المسائية، والتي كانت تدوم زهاء الشهر.

من بين الزرعات التي لا زلت أتذكرها خلال تلك الاحتفالات موجهها كلامي الى فتاة كانت تحمل ساعة في يدها اذكر : (تقرأ الزرعة من اليمين إلى اليسار)

تَهْدَرُ مَعَاكَ يَا الْبُنَيْتَةَ ***** الساعة فيدك شُفْتَا

قولي بَشْحَالِ شُرَيْتَا ***** نَعْطِيكَ ثَمَانَ وَجِبْلِي خْتَا

كما توجهت بالكلام إلى التلميذ **هروش محمد** هاجيا إياه قائلا:

أيا خاي أهروش، قَلُولِي مَرَضَتِ البارح ***** يُلِي عَيْبَتِ سِيرِ تَرَوِّحْ
دبا لاش نَوَضتِ أَدَشْطَح ***** انت لكبير فينا وادْخَلْطَ لَمَزَاخُ .

وقال **محمد الهيسوفي**:

يا الحَنْشُ دَالِصَرَّافَةَ ***** يا الْمَرْوَقَةَ مَكْتَفَا
والزَّيْنِ وَالظَّرَافَةَ ***** جَوْحُ مَيْطُ فَسَالْفَا
واضاف:

رُكَبْنَا عَلَيِ الخَرْبَةِ ***** والبيبان غي بِاللَّوْبَةِ
وَتَرِيسِيْنَتِي مَشْعُولُ عِنْدُ الطَّوْلِبَةِ

كانت الزرعات عبارة عن معيور أي الهجاء بين التلاميذ بتشجيع من السادة المعلمين، وعلى رأسهم **عبد الله قرواش، والسي محمد بوعيش** رحمه الله الذي كان عاشقا للفراجة ويعود إليه الفضل في تأطير تلك الاحتفالات. وبحكم انتمائه للبرانس كانت له إسهامات كبيرة في الفراجة حيث كان يكتب الزرعات ويعطيها خفية إلى بعض التلاميذ لإلقائها. وعلى غرار الشيوخ الكبار كنت أبحث عن نقط الضعف لهؤلاء التلاميذ الذين يشاركون في الفراجة من أجل أن أعيرهم بها (أهجوهم).

بعدها حصلت على شهادة الدروس الابتدائية سنة 1986م التحقت بإعدادية **فخر الدين الرازي** بمدينة تازة، لأقطن بالداخلية وأشارك في الاحتفالات بعيد العرش هذا بالإضافة إلى سهرات ترفيهية كان يحييها تلاميذ الداخلية بتأطير من بعض المسؤولين خلال عطلة نهاية الأسبوع شارك فيها من بين التلاميذ على سبيل المثال **لا الحصر: الهرنان حفيظ، حميد بن مسعود، عبد اللطيف بوزردة، هرانو محمد ووطنان محمد.**

2-مرحلة الاحتكاك والتاثر بالشيوخ الكبار

لقد ساعدني وجودي بمدينة تازة على تتبع هذا الفن عن قرب، والاحتكاك به مباشرة، وذلك بوجود فرق الشيوخ الكبار التي كانت تشارك في حفلات الأعياد والمناسبات الوطنية والسهرات والأعراس العائلية، كفرقة **بوجمعة الحداد، وفرقة علال ددريس وامعاشو، وغيرها من الفرق القادمة من التسول والحياينة.**

كانت مناسبة للتعرف بشغف ووعي على قواعد الفراجة والعمل على استيعابها وكأنني لاشعوريا أضع الأسس الأولى لبناء شخصية افرايجي وليس مثقف مستقبلي.قواعد أولية يمتزج فيها حفظ الزرعات الملقاة وطريقة أدائها صوتا وحركة وكذا الارتجال مع احترام القافية وتنوع المواضيع التي تشكل مادة الإلهام.

كانت الفراجة حقل صراع فني بين أفراد المجموعة الواحدة او بين مجموعتين . قد يبقى سلميا وقد يتحول إلى مواجهة خفية وغنية بالألغاز والمعاني وكل ذلك في أسلوب محكم قد تتخلله وقائع هزلية، وتحف وطرائف، أو معيور بين عنصرين من نفس الفرقة، مثل **الشيخ طراش والشيخ بغداد(مجموعة بني افتح) أو الشيخ عبودة والشيخ الحداد(مجموعة الحداد).**

شكلت بداية مرحلة المراهقة بالنسبة إلي محطة كبيرة وأساسية في بلورة شخصية الفرايجي بداخلي.كانت حفلات الأعراس التي كنت أواظب على حضورها مدرسة فنية بامتياز تمكنت فيها من استيعاب

النمط الفني الذي ينتظرني في الأفق .نمط مشكل من الزراعي (القوائد) والصوت وأحيدوس (الرقص الرجولي الحربي)وكذا طبيعة الجمهور الصعب استمالاته إن لم تكن في المستوى أي شيخا يقف الند للند في مواجهة الشيوخ الآخرين.

بالمناسبة أتذكر حفلة عرس أقامها السيد **الصنيهجي** سنة 1987 بدوار حجرة سيدي منصور، بجماعة الترابية وأسوق مقاطع من زروعات للزوبع وعلال والحداد ولحرش.قال أحمد الزوبع في إحدى الزروعات:

شُوفو أودّي أحوّنا هَـذْ علال دَدْرِيس شَنَا هَذَا عَمَلْنَا ***** أنا شُحال رَيِّبْتْ فَا لَزَيْتونَة
وهو جَايِبُ الحَرَّاكُ باشْ يُعَزَّنَا . (الحراك بثلاث نقط فوق الكاف يعني قطع الماعز)

فأجابه **علال** ددريس قائلا:

اودّي الزوبعْ عُدَرْنَا ***** دَبَا مَنَّايْ جِينَا لَهْنَا
خَلِينَا نَشَطْحُو كِي نَتَايَا كِي احْنَا ***** انا مَرَعِيْتَلَكُ يُوزيتونَة
غي شَرَبْنَا مَلْغَدِيرْ وَماشِينْ فُحالْنَا

وأجابه الزوبع قائلا:

عَنِي أَعلالُ مَوْلُ البَنَدِيرْ ***** عَندَ اولاد الصنِيهجي مَوَالِينُ الخير
هَـذْ الشَّغوبُ جَبْتَوْهُ كَبِيرْ ***** يَلَى وَرَدْتُوهُ مَلْغَدِيرْ
غي يَرْقُدُ فَالْمَرَجَة وَيَبْدَأُ بِالشُّخِيرْ

ويقصد الزوبع بقوله: (هذ الشغوب جبتوه كبير)، بعض عناصر المجموعة، المتقدمين في السن مثل الشيخ بغداد، والشيخ لحرش رحمة الله عليهما، والشيخ الحموي. والشغوب عند البرانس هو الحيوان من غنم وبقر...

هنا تدخل بوجمعة الحداد فقال للزوبع:

شوفُ الأمور لايْنُ وَصَلْتْ ***** وَأنا مَفِيَّاشْ مَيْتَمَرْتْ
هاهيّ الحفلة كَمَلْتْ ***** كَا نَجْمَعُ بَنَدِيرِي نُزِيدُ عَلَى السَّبْتِ
والله مَلْغَدِيرَة دِيالِكُ لاشْرَبْتِ

وللإشارة فإن الغدير المذكور هنا هو بركة ماء توجد في الغداير قرب دوار أكوف. وفي ذلك الوقت كان الشيخ بغيث خماسا مع الرحماني لم يكن قد انتهى من عملية درس المحصول. وكان يذهب مصحوبا ببغلته التي كان يكتريها منه الرحماني في عملية الدرس، مقابل الحصول على نصف الخمس هو والبغلة. ظل بغيث يدرس وفي المساء جاء ليغني في عرس جيرانه، ودخل في جدال فني مع الشيخ لحرش رحمة الله، فقال :

عَنِّي الحَرشُ يا المَفَلْسُ ***** أنا فَنهَارُ أَنْقِيلُ نَدْرَسُ
وَعَشِيَّةً نَعْنِي فَالْعُرْسُ ***** وَدَبَا ائْتِ غي كَالَسْ

كنت أخذها لوحدي، أو لأنهم يخافون الإهانة، وينتشر الخبر بين الفرق الأخرى، خصوصا وأنه كانت هناك منافسة قوية بينهم. وهذا ما زاد من حماستي للاجتهد أكثر حتى أفرض وجودي في هذا الميدان.



مجموعة اثبات الذات اواسط التسعينات: من اليمين ، سويطة، البوعلايي، الزوبع، لغمام ورشيد

لقد كان في الدوار بعض الأشخاص الذين كانوا يمارسون فن الفراجة مثل أحمد الزوبع، واعمربن عمر رحمه الله تعالى وغيرهما من أبناء الدوار. كنا نحضر في الحفلات الصغيرة، كحفلة الختان أو العقيقة فكنا نغني بايعاز من صاحب الحفل وعائلته . وكثيرا ما كنا نتعاير(تبادل الهجاء) أنا والزوبع في كل لقاء تقريبا، ومن بين المعثور الذي دار بيننا أورد المقطع التالي:

شوفو هذ خاي الزوبع ***** أيمتل راسو السبع
وهو جا احداي أيخدع ***** وخدام كيلقي المشية د ضبع
أنا متلثو لشي حمارة شارفة كتكنع ***** فيها امضيلعة كتخدع
فاش نكملمو م الحفلة ويهدا الصداع ***** نديرو عليه البرداع
ونرفدوا عليه القش لحدنا لازبع

فأجابني قائلا:

أودّي أمحمد انا قلت مشي تقرا وتخرج موظف اصحيح ***** ساعة راه ندهك الريح
وبديت معاي تنزل قبيح ***** خلّيت القرابة وأدشوش على الشطّيح

فكان جوابي :

خلّيني تشطّح أتيا ***** ونقرج هذ الدنيا

كي لِّي ساكن فالبادية ***** كي لي جا من المدينة لَهنايا
وأنا رني فالعُطلة أخويا ***** قلت باغي نرتاح شويّة
وانت كَتْفَكْرُنِي فَ لَقْرَايَة ***** سُنِي سَلَطَكْ عَلِيَا
يا بوفيسدَة مَطْلِيَة يابوكي طَمَة مَرخِيَة ***** يَلِّ باغي تَشْطَحْ مُعَايَا
عَرِّي عَلِي دُرَاعَكْ أَخويا ***** وَنَجِيبُوا اخناويَاكُ الْمايَا فَ لَمِيَا.

بعدها أنهيت دراستي بالمستوى الإعدادي، التحقت ب**ناوية ابن الياسمين بمدينة تازة** كذلك، وبالداخلية دائما، حيث استمرت الأنشطة والسهرات الفنية خلال عطلة نهاية الأسبوع، على غرار تجربة داخلية فخر الدين الرازي. بعد أن حصلت على شهادة الباكلوريا سنة 1995م، التحقت ب**جامعة سيدي محمد بن عبد الله بمدينة فاس**، وبما أنني أصبحت مهووسا بالفراجة، ومعروفا لدى الجميع كنت أنظم مقاطع أو زرعات حول كل ظاهرة أو حدث رأيت، مثل الحلقيات التي ينظمها الطلبة للنقاش بالكلية، أو مقاطعة الدروس، أو المظاهرات أو الامتحانات وغير ذلك مثل الغزل الموجه للفتيات داخل الكلية أو خارجها.

4 - الاحتراف بين إكراه البطالة وجاذبية الفراجة

لم يكن حصولي على الأجازة سنة 1999 مدخلا للحصول على عمل يناسب مؤهلاتي العلمية والاندماج في المجتمع النشط بل ممرا مباشرا إلى البطالة وما يترتب عن ذلك من قلق نفسي وعدم استقرار اجتماعي. ويهدف عدم الاستسلام لهذا الوضع بدأت مسيرة الاندماج في عالم الفراجة الاحترافية.

كنت أجد راحتي وذاتي وأنا أنظم قصيدة أو أكتب زرعة أو أستمع لأشرطة الشيوخ (الفراجية) سواء القدامى منهم أو الجدد. وهكذا اكتملت موهبتي وبدأت قريحتي تنسج زرعات جديدة يوما بعد يوم سواء في الغزل أو الفلاحة أو الأحداث التاريخية أو الوقائع الاجتماعية كالزواج، والطلاق، والهجرة سواء منها الداخلية أو الخارجية، وكانت تعجبني آلة **التعريجة** لأنني لاحظت كيف كان **عبد القادر الهرنان** يتقن الإيقاع بواسطتها، وهو يبرمها (يحركها في جميع الاتجاهات) في يده ويلوح بها يمينا وشمالا.

في سنة 2000م، وعلى إثر وفاة **علال الهركال** رحمه الله، الذي كان مختصا في التعريجة إلى جانب **الهرنان**، أصبحت فرقة **علال ددريس** في حاجة ماسة إلى عنصر يتقن إيقاع التعريجة، فكانت الفرصة المناسبة عندما حضرت معهم في عرس برحبة الزرع بمدينة تازة عند **عبد السلام سويطة**، وأخذت التعريجة وحاولت أن أبين مهاراتي. وبالفعل حصلت على إعجاب الفرقة التي قرر عناصرها أن يدمجونني معهم، وذلك لأمرين: أولهما سد الثغرة التي تركها **المرحوم الهركال**، والثاني إدماج عنصر شاب بالمجموعة يتقن الإيقاع والزريع معا على عكس **علال الهركال** الذي لم يكن يزرع، وهكذا يضربون عصفورين بحجر واحد.

لم أحيب أمل المجموعة ولم يخب أمني في الاحتراف ما دام الواقع كان أقوى. كانت مساهماتي تكبر وتنضج يوما بعد يوم في جميع مجالات الفراجة ففي الغزل قلت مثلا:

غَيْرُ نَصَنْتُو يَا حُضَّارَ ***** هَذَا وَلَدُ البوعلايِي الصَّبَّارِ

مَجِي مِنْ دَوَارِ لُدَّوَارِ ***** رَنِي فُقيهِ قَارِي لَسَّوَارِ

واللوح عادُ باقي فَ الدار ***** جِيْتُ مَعَ هَذَ الفلَّاحَة مَنْ ذَاكَ الْكَبَّارِ

أنا سَنُو يَكَمَلِي مُعَاهُومُ النِّهَارِ ***** حَطُّوكُ بَنْدَايِ أَرْقِيَقَتْ لَشْفَارُ
قُلِّي سَنُو دَرْتِي لِفَاكُ حَتِي أَحْمَارُ ***** رَنِي وَلدَ لَحْيَا وَالتَّقَارُ
وَبَاغِي نَعَمَّرُ الدَّارِ ***** يَلَى بُغْتِي دَزُوجِي آلِزِينِ الْمَسْرَارِ
فَايْنِ أَيْكُونُ بَابَاكُ نَطْرُخْلُو الْعَارِ

وفي الفلاحة قلت:

رَنِي جِيْتِ بَاغِي نَصَادُ ***** رَنِي جَارُكُومُ أَلْجَوَادُ
مَارَنِيَشُ بَرَّانِي وَدَخَلُ لَلْبِلَادُ ***** وَالنَّاسِ دَايِرِينِ الْمِيْعَادِ
تُوضُ الرُّوبِيعِ الْمُقَادُ ***** يَلَى كُنْتُ فَلَاحِ مَنْ لَشَدَادُ
أَفْتَلُ الطُّوَارِفِ أَجْدَادُ ***** هَذِ اللَّيْلَةِ نُرَبِّطُو حَنَاوَكُ لَفْرَادُ
وَنَشُوفُ الرُّرْعُ لِّي يُوَافِقُ لَبِلَادِ

وفي القضية الفلسطينية قلت:

أُقْبَاحُ الزَّمَانِ وَمَابِقَ تَسِيرِ فِيهِ ***** لَمَسَلَمِينِ كَايْنِينِ مَنْ مَلْيَارِ لِهِيهِ
هَذَا الشَّيِّ مَرَضِينَاشِي بِهِ ***** الْمَسْجِدِ دَالنَّبِي طَحَا شَارُونِ فِيهِ
وفي الهجرة قلت مثلا:

شُوفُ الْبَاسْبُورِ الْغَدَارُ ***** لِّي دُكُ الْوَرْدَةِ مَنْ الدَّارِ
هُجَرْتِي أَخْلِيْتِي الدَّوَارِ ***** مُشِيْتِي لَبِلَادُ الْكُفَّارِ
غَيْرُ لَفْلُوسُ دَالخَارِجِ يَعْطِيهَا النَّارِ
واضفت كذلك:

أَنْتُمْ يَا صَحَابِ الْخَارِجِ فُضِيْتُو عَلِيًّا ***** غَيْرُ كَتَقَطُّعُو لَبْحَرِ وَتَوَلَّيُو دَغِيَا
دَجِيْبُو فُلُوسُ كَثِيرَةَ وَاللُّوْطُو نُقِيَّةً ***** أَنْتُمْ تَعَيِدُو بِالْحَوْلِي وَنَا بِالْجَدِيَّةِ
مَرَّةً تَمْشِيُو لِلْسَعِيدِيَّةِ وَمَرَّةً عَلَى مَهْدِيَّةِ ***** التَّشَاطِ وَالْعَطْلَةِ مَعَ الْمَسَارِيَّةِ
مَنْكُومُ غَارُو الشُّبَايِيَّةِ ***** أَبْدَاوُ كَيْحَلْمُو كُشِي بَاسْبَانِيَا
الْحَرَآكَةَ اسْتَعَلُّو الْوَضْعِيَّةَ ***** اشْحَالُ شَمْتُو دَالدُّنْيَةَ
وَكُشِي مُشَا صَحِيَّةً ***** حَتِي أَنَا نِيْتُ دَرُوهَا بِيَا
وَتِيَقْتُ فُوَاحِدُ الْحَرَآكِ حَتِي غَرَبِيَا ***** دَالِي جُوجُ دَالْمَلَايْنِ وَمِيَا
وَرَفَدْنَا مَعَ الْعَشِيَّةِ ***** مَنْ طَنْجَةَ الشَّمَالِيَّةِ
وَمَعَ وَقْتِ الْفَجْرِ يَّةِ ***** نَزَّلْنَا أَحَدَ الْمُحْمَدِيَّةِ

قالنا نَحَبُو دَغِيَا ***** بَقَلُومُ جُوجُ كِيلُومِترِ عَلى المِيرِيا
تَحَشِينا فُواحِدُ الفِيرَمَة دَالِالِيَة ***** وَكَيْفُ بَانُ الحَالِ شُويَّة
شَفْتُ حَالِغُوزُ شِيبَانِيَّة ***** نَاذِها شِي شُويها تِ وَحَا الهَرُويَّة
كَتَهَدَرُ مَعَهُومُ بِالْعَرَبِيَّة ***** قُلْتُ إِوا شُوفُ هَاذُ الدَّنِيا
حَتَى العَگُوزُ كَدَسَرَحُ فُهَدُ اسبانيا ***** قُلْتُها اَحَلْتِي الشَّيبَانِيَّة
قُلِّي فَايْنُ راني أَنِيَا ***** واشُ فُ بَرشِلُونَة وَلاَّ المِيرِيا
قالْت لي واشُ مُشْتَلِكُ العَقْلِيَّة ***** راكُ فُ بِلادِكُ المِغْرِبِيَّة
مَتِيْقَشَايُ بِها أَنِيَا ***** وَبَقِيْتُ واحِدُ الشُويَّة
وَئَصِيبُ الطَّرانُ دُبالُ كازا غادِيَّة ***** قالْتِلي أُوليدي كَلَسُو فُ بِلادُكومُ المِغْرِبِيَّة
وَخَدَمُو بِالْعَقْلِ وَالنِيَّة ***** فُ اِروبا مَبَقَاتُ امزِيَّة
كانت فِيهَمُ النِيَّة ***** دَبا اَطَّوَرُو مَعُ اُولادِ الجالِيَّة
وَرَدَّوها لَ تَمَكْرِهِيَّة وَقَلَّتْ لَحْيا ***** بَكْرِي رَبَحَتْ الدَّنِيا
مَنِينُ كانْت مَرالَة النِّيَّة بافِيَا ***** وَما دابا تُقَدَّتْ القُضِيَّة
رَجَعَتْ كَيْفُ بَركانُ كَيْفُ اسبانيا

مما زادني تألقا في فن الفرجة، هو استعماله للمصطلحات الحديثة، والتطرق الى الوقائع الاجتماعية في قالب هزلي سواء منها التي تقع في عصرنا، أو التي وقعت في الماضي، كطريقة الزواج مثلا العصرية والتقليدية حيث قلت:

سَمَعُو ياسيادي سَمَعُو ***** اَطَّوَرُ هَذا الوَقْتِ يامزِيْنَتُو
هَذا زُواجُ اليُومِ وَهَذي حَالَتُو ***** العَزْرِي يَلَى بَغا يَنْزُوجُ وَيَعَمَرُ دارُو
بِيَدُو يَخْتارُ مَراتُو ***** حَتى يَشُوفُها وَدَشُوفُو
وَحَتى يَفْهَمُها وَدَقَهْمُو ***** عَاذُ يَمْشِيوُ لِلْعُدُولِ يَعْقُدُو
وَمَنِينُ يَعْملُ عُرْسُو ***** يَمْشِي يَحِيبا نَيْتُ بِيَدُو
فَ الطُّومْبِيلُ شِي اِحْداشُ يَرْكَبُو ***** وَمَنِينُ لِلدارِ يَوْضَلُو
كَدِيرُ يَدُ فَيَدُو ***** كَيْفُ مارُكارِيطا مَعُ اِكْناسِيُو (margarita et ignacio)
وَما هَذي اشْحالُ الناسِ كَيْفُ كانُو ***** الرِجْلُ يَلَى بَغا يَزُوجُ وَلَدُو
مَيْشُورُو ما يَقُولالُو ***** كَيْرَفَدُ الخبزُ فُقَبُو
خَمسة دَدَواوَرُ يَهْمَلُ عَلى رَجَلُو ***** حَتى يُصِيبُ شِي شِيباني قَدُو

أَيْقُلُوْ عِنْدِي الْوَلَدَ أَنَا بَغِيْتُ نَزَوْجُو ***** يَلَىٰ عِنْدَكَ شَيْ طُفِيْلَةَ خَصْنَا تَنْتَاسِبُو
 هَذَاكَ عِنْدُو الْبِنْتِ عَطَاهَا لُو ***** وَمَاشَوْرَهَا مَاوَالُو
 الْعَرِيْسَ مَا أَيْعَرَفَا وَهِي مَا أَدَعَرَفُو ***** غَيْرَ بَابَاهَا مَعَ بَابَاهُ أَيْتَشَاوْفُو
 فَ السَّبْتِ دُبُوْقْلَالٍ أَيْتَسَبَّبُو ***** مَتِيْنٌ جَاوُ يُعْقَدُو
 مَكَائِنٌ لِأَعْدُوْلِ لِأَوَالُو ***** خَصْرَ لَفَقِيْهُ بُيْدُو
 قَالُوْ دِي نُقُوْلُوْكَ تَمَّ قَيْدُو ***** مَكِيْنَشَايْ دِيْرُ بِيْتِ النُّعَاسِ أُو الْمَاريُو
 وَدِيْرُ الذَّهَبِ عِلَاشٌ كَنَعْتَامَدُو ***** قَلُوْ دِيْرَ لَوْتَدَ وَالشُّكُوَّةَ مَعَ كَرَالُو
 وَدِيْرُ السُّطَلِ جَدِيْدٌ فَاشٌ يُرِيْبُو ***** وَالْقَادُوْمُ بَاشٌ يُحَطِّبُو
 وَالْكِسْكَاسُ وَالْبَرَمَةَ فَاشٌ يُقَوْرُو ***** إَوَانْهَارُ الْعُرْسِ جَابُوْهَالُو
 لَعْرِيسَ رَاهُ مُقَابِلَ غَنْمُو ***** مَسْكِيْنٌ حَتَّىٰ خَبِرَ مَاَعَنَدُو
 وَاحِدٌ جَارِي مَسْكِيْنٌ كَيْفَ سَرَالُو ***** مَتِيْنٌ مُشَا يَخْطَبُ لَمَرَا مَزِيَانَةَ وَرَاوْهَالُو
 وَمَتِيْنٌ جَابُوْهَالُو لِقَاهُمُ بَدْلُوْهَالُو ***** خُطَبٌ يَامْنَةُ وَاعْطَاوْ لُو عَنَائِبُو

كذلك وظفت اللغة الفرنسية في الفرجة مما زاد من ارتفاع قيمتها بين المثقفين، والطلبة، وأفراد الجالية، أو السواح الأوروبيين الذين يحضرون في الأعراس. من الطرائف التي أتذكرها، في سنة 2003م، وهي السنة التي تزوجت فيها، حضرت في عرس عند محمد الخيدر في دوار "القطا" بني بوعلة، على الحدود مع الحياينة، وذلك قبل ثلاثة أيام من ليلة عرسى، حيث حضرنا نحن مجموعة علال ددريس، ومجموعة أخرى من الحياينة، ووقع بيننا معيور(هجاء)، حيث قال أحدهم في زرعة:

حُنَا جِيْنَا شَادِيْنُ الْعَسَّةَ ***** وَشُوْفُو الْحَفْلَةَ كِي طَحَاتُ مَدْرُوْسَةَ
 شِي جَا مَ الْبِرَانَسِ شِي مَنُ تَيْسَّةَ ***** حُنَا هَذَا الْفُرَائِيْجِيَّةَ كَيْفُ الْخَمَاسَةَ
 جِيْنَا أَنْشَطْحُو بَاشُ نَكْسِيُو النِّسَا

وذلك في إشارة واضحة إلينا، فأجبتة قائلا:

اَحْنَا جِيْنَا عَشْرَةَ وَمَشِي خَمْسَةَ ***** وَنَشَطْحُو فُكْلُ ابْلَاصَةَ
 مَا نُخَلِّيُو لَا تَائِيْنَسْتُ لَا مَرْنِيْسَةَ ***** وَغَرَبِيْنُ مَعَ أَوْلَادِ عِيْسَةَ
 وَتِيْتُ أَنْحَضْرُو حَتَّى الْعَرَّاسِ فُ تَيْسَةَ ***** هَذَا هُو الْبُوْعْلَايِي لِي قَارِي فَ الْمَدْرَسَةَ
 بَ الطَّابَلَةَ وَجُوْجُ كُرَاسَا ***** وَدَخَلْنَا عَلَى الْقُطَا بِحَالِ الْبَارِصَا
 هَانَا مَشِي نَزِيْدٌ لَلْقَنْطَرَةَ وَنَهْرَسَا ***** وَتُدُوْرُ لَلْكُفَّةَ وَنَحْبَسَا
 وَالْكُوْرُ أَجْدِيْدٌ نُخْرَجُو يَتَلَانَسَا ***** رَنِي جِيْبْتُ الْقُوَّةَ دِيَالِي كَامِلَةَ وَالْفُوْرَصَةَ

والراية الحمراء طَيَّحَتْ فَرانسا

وكانت إجابتي فيها نوع من التريت، وتتضمن معاني قوية لكنها خفية، إلا أن الشيخ بوخبال، تبعني في الزرعة، وبنفس القافية فقال:

ياوَدِّي البوعلايي عِي نَهَنَّا وَرَسا ***** خَلِّي الناس أَدَكْوَزْ عُرْسا
رَحَنَّا فُرَايِحِيَّة مَشاي خُمَامَسَة ***** قُل لُدَاكُ الشَّيخ لِّي قَالَكُ أَيَشَطْحُو باش يَكْسِيوَالنَّسا
أَحنا صَيِّفْنَا وَدَرَسْنَا شُحال مَن دَرَسَة ***** وَشُحال دَلْمَطَامَر فَ السِّيَاحُ مَكَلَسَة
وانتوما يَلِي جِيَتو دُشَطْحُو باش دَكْسِيو النَّسا ***** عَايَن لُخِيَدَر يَعْطِيلَكُ الخُلَصَة
وَشُرِي لَمَرَاتِكُ اللَّبْسَة ***** وَجِيَبَا لَلْقَطَا مَلِّي دُكُونُ مَعَرَسَا

وهنا اهتز العرس، ووقع الشجار بين الجمهور الحياني والجمهور البرنوسي، ووقع التراشق بالحجر، وضاعت الحفلة، فأوقف صاحب العرس فرقة الحيانية عن الغناء لأنهم كانوا سباقين إلى العيب، وبقيت فرقة البرانس لوحدها أمام جمهورها الشيء الذي جعل بعض أفرادها يعلقون على الحدث قائلين لي: كنت مشي دموت ودخلي العروسة فالدار اي إنني كنت سأموت وأترك العروس الجديدة أرملة.

إذا كان مضمون هذا الهجاء صارما قد تترتب عليه إحداث عنف كما كان يحدث في بعض الأحيان، فإنه ومع مرور الوقت وتطور القيم القبلية من الصراع والمنافسة إلى التعايش والسلم فإن التراث الفني كهجاء لا زال قائما ومحافظا عليه لحد الآن. فغالبا ما تنهي فرقة البرانس ليلتها مع جمهورها بطرح أي وصلة من المعبور/الهجاء يقدمه الثنائي محمد الزوبع ومحمد البوعلايي الصديقين الغريمين مند فترة المراهقة.وصلة فنية من الهجاء تقسم الجمهور إلى فريقين متناقضين،احدهما يشجع الزوبع والآخر يشجع البوعلايي لكن الكل يتوحد في نفس الوقت حول المتعة والضحك اللذين بهما ينتهي الحفل. وهذه نبذة مختصرة من مسار طويل ممتلئ بالطرائف والذكريات، والوقائع التي نعيشها في الأعراس، والعادات المختلفة للقبائل وطريقة احتفالاتها بالأعراس.

وخرافتي مشات مع الواد ونا بقيت مع لجواد.

محمد البوعلايي الغرايجي